فهرس المحتويات

الدرس	العنوان	الصفحة
الأول	لماذا نبحث و نفكر لمعرفة خالق الكون؟	٤
الثاني	معرفة الله في حياتنا	٨
الثالث	طريقان لمعرفة الله	١٢
الرابع	جواب سؤال مهم	١٦
الخامس	قصة واقعية	٢٠
السادس	الطريق الثاني لمعرفة الله	٢٣
السابع	نماذج من نظام الخلق	٢٦
الثامن	عالم عجيب في طائر صغير	٣٠
التاسع	الصداقة بين الحشرات و الزهور	٣٢
العاشر	العوالم الصغيرة جداً	٣٦

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الأوّل

لماذا نبحث و نفكر لمعرفة خالق الكون؟

إنَّ حبّ الاستطلاع و التعرف على عالم الوجود كامن في أعماقنا جميعاً. إنَّنا نريد أنْ نعرف حقّاً: هل هذه السّماء الرفيعة بنجومها الجميلة، وهذه الأرض المنبسطة بمناظرها الاخّاذة، و هذه الكائنات المتنوعة، و الطيور الجميلة، و الأسماك الملونة في البحار، والزهور، و البراعم و النّباتات، و أنواع الأشجار السّامقة، هل هي كلّها قد وجدت في هذا الكون لوحدها، أم إنَّ هذه الصور العجيبة قد رُسمت بيد ماهرة قادرة مدبّرة؟

ثمّ إنَّنا إذا تجاوزنا ذلک كلّه، فإنَّ الأسئلة الاولي التى تراود خواطرنا في الحياة هي:

من أين جئنا؟ أين نحن الآن؟ وإلى أين سائرون؟

ما أعظم سعادتنا لو إننا عرفنا الإجابة على هذه الأسئلة!

أي أنْ نعرف كيف بدأت حياتنا؟ و إلى أين سيكون مصيرنا في النهأية؟ وما الذي ينبغي نفعله الآن؟

إنَّ روح حبّ الاستطلاع فينا تفرض علينا أنْ لا نجلس دون حراک حتى نعثر على أجوبة هذه الأسئلة.

قد يتفق أن يصاب أحدهم في سيّارة و يغمي عليه، فيؤخذ إلى المستشفى لمعالجته. و عندما يفيق من اغماءته و يتحسن حاله، يكون أوّل سؤال يطرحه على من حوله هو: أين أنا؟ لماذا جيء بي إلى هنا؟ متى اخرج؟ و هذا يعنى إنَّ الإنسان لأيستطيع أنْ يلزم السّكوت نحو أمثال هذه الأسئلة.

وعليه، فإنَّ مأيحملنا على البحث عن الله و معرفة خالق عالم الوجود هو:

١- روح حبّ الاستطلاع المتعطشة فينا.

٢- **عرفان الجميل:** لنفرض إنك قد دُعيت إلى وليمة فخمة، هيأوا لک فيها كلّ أسباب الضيافة الكريمة و الترحيب بک وراحتک، ولكن بما إنك قد حضرت الوليمة بصحبة أخيک الأكبر الذي دعاک اليها، فإنك لاتعرف مضيفک حقّ المعرفة. لذلک فانت عندما تجد كل هذه الحفاوة و التكريم من صاحب البيت، يكون جلّ همک أن تتعرف عليه لكي تقدم له مأيستحقه من أيات الشكر اعترافاً بجميله.

كذلك هي حالنا عندما ننظر إلى مائدة الخلق الواسعة حيث نجد عليها مختلف أصناف النّعم و قد وضعت تحت تصرفنا: عيون ناظرة، و آذان سامعة، و عقول ذكية، و قوي جسمانية و نفسانية متنوعة، و مختلف سبل العيش، و رزق طيب و طاهر، كلّها قد عرضت على هذه المائدة الفسيحة الشّاسعة، فيتجه فكرنا دون اختيار إلى ضرورة معرفة واهب كلّ هذه النّعم لكي نقدم له فروض الشكر و إنْ لم يكن بحاجة إلى شيء من شكرنا، و ما لم نفعل ذلك نصاب بالقلق و بأنَّنا نفتقر إلى شيء ما. و هذا محفز آخر يدفعنا للبحث عن الله و معرفته.

٣- **حساب الرّبح و الخسارة في هذا البحث:** افرض إنك في سفرك قد بلغت مفرق طرق أربعة حيث تسمع الناس يتنادون أنْ لا تمكثوا في هذا المكان، ففيه أخطار كبيرة. إلاّ إنَّ كل فريق يدعوك إلى سلوك أحد تلك الطّرق، فهذا يقول: أفضل الطريق هذا الذي يتجه إلى الشرق. و يقول فريق آخر: بل الطريق المؤدى إلى الغرب أكثر اطمئناناً. فريق ثالث يدعوك إلى طريق وسط بين الطّريقين، قائلاً: إنَّه الطريق الوحيد الذي ينجيك من المخاطر و يوصلك إلى حيث الأمن و الأمان و كلّ أنواع السعادة.

فهل يجوز لنا أن نسلك أحد تلك السبل دون تمعّن أو دراسة؟ أم هل يرتضى لنا العقل أنْ نمكث هناك دون أن نختار واحداً من تلك الطّرق؟ طبعاً لا.

إنَّ العقل ينصحنا بأن نبادر فوراً إلى دراسة الوضع و تمحيص أقوال كل فريق بدقة، فإذا وجدنا في أقوال أحد الفرق دلائلاً مقنعة من الصدق و الصحة أخذنا بها، و سلكنا ذلك الطريق بكل اطمئنان وثقة.

هكذا نحن في هذه الدّنيا، حيث نجد مختلف المذاهب والاتجاهات تدعونا إليها. ولكن لما كانت سعادتنا و تعاستنا، تقدّمنا و تأخرنا، منوطة بدراسة هذه الاتجاهات و اختيار أفضلها، فإنَّنا لانجد بداً من أنْ نفكر في الأمر، لاختيار الطريق الذي يؤدى بنا إلى التقدم و التكامل، و تجنّب الطريق الذي يوصلنا إلى منزلق التعاسة و الفساد و الشقاء.

و هذا دافع آخر يدفعنا لإمعان الفكر في خالق عالم الوجود.

يقول القرآن الكريم: (**فَبَشِّرْ عِبادِ الذينَ يَسْتَمِعُونَ القَولَ فيتَّبِعُونَ أحْسَنَهُ**) .

التقويم:

١. هل سبق لک أنْ فكرت بجدّ في الله و معرفته، غير ما سمعته من والديک؟

.....

٢. أتستطيع أنْ تذكر الفرق بين البحث عن الله و معرفة الله؟

.....

٣. هل شعرت بنوع من اللّذة الرّوحية العميقة و أنت تدعو الله وتناجيه؟

.....

الدرس الثاني

معرفة الله في حياتنا

معرفة الله في حياتنا

أولاً:معرفة الله و تقدم العلوم:

نفرض إنَّ صديقاً قدم عليک من سفر و جلب لک معه کتاباً هدية، و قال لک إنَّه کتاب ثمين لأنّ مؤلّفه من کبار العلماء، واسع الاطلاع، ضليع في موضوعه، و يعتبر أستاذاً نابغة.

و بناء على ذلک سوف لاتقرأ الکتاب قراءة عابرة، بل بالعکس، تحاول أنْ تکون دقيقاً في قراءتک الکتاب و تتمعّن في عباراته و حتى کلماته، و إذا لم تفهم عبارة منها فإنك تقضى الساعات، و ربّما الأيام المتوالية، تفکر في تلک العبارة کلّما واتتک الفرصة لعلک تدرک معناها لمعرفتک إنَّ المؤلف ليس شخصاً عادياً، بل هو عالم کبير لأيکتب کلمة إلاّ بحساب.

ولکن إذا قالوا لک إنِّ الکتاب و إنْ کان جميل المظهر، إلاّ إنَّ مؤلّفه رجل قليل المعرفة، ضعيف الدّرأية و لأيعتمد على أقواله.لاشک إنك قد لا تلقى على الکتاب سوي نظرة عابرة، و إذا طالعتک جملة غير مفهومة قلت: هذا دليل جهل المؤلف، و إنَّ الکتاب لأيستحق الوقت الذي يقضيه المرء في مطالعته.

عالم الوجود هذا أشبه بکتاب ضخم، کلّ کائن فيه يمثل کلمة أو جملة فيه. فمن وجهة نظر الإنسان المؤمن بالله، تعتبر کلّ ذرّة في هذا الکون جديرة بالدراسة. أن المؤمن . و هو غارق في أنوار عبادة الله . يباشر بدراسة أسرار الخليقة بکل دقة و تفحص) و هذا مأيساعد على تقدم العلوم الإنسانية(، لأنه يعلم إنَّ خالق هذه الاجهزة و النُظُم لا يدانيه أحد في علمه و قدرته، و إنَّ لکلّ عمل من أعماله حکمة و غأية، لذلک فإنَّه يتحرّي الدّقة في دراسته وأبحاثه ليتسني له في درک أسرارها.

أمّا الإنسان المادي فلا يملک دافعاً يدفعه لدراسة أسرار الخليقة، لأنه يعتبر خالقها هو الطّبيعة العمياء. أمّا العلماء الماديون من المخترعين و مکتشفي العلوم الطبيعية، فإنّهم غالباً مأيعترفون بوجود الله، و إنْ أطلقوا عليه اسم " **الطّبيعة** " التى يرون في عملها نظام و حساب و تخطيط.

إذن، عبادة الله وسيلة من وسائل تقدم العلوم.

ثانياً: معرفة الله و السعي و الأمل:

عندما يواجه الإنسان الصعاب والعوائق في حياته، و تبدو الأبواب و كإنَّها قد أُغلقت في وجهه و يحس بضعفه و وحدته في مواجهة المشكلات، يهبّ إيمانه بالله إلى عونه و تقوية معنوياته.

إنَّ المؤمنين بالله لأيرون أنفسهم وحيدين وضعفاء، ولأينتابهم اليأس، لأنهم يؤمنون بأنَّ قدرة الله أكبر من كلّ مشكلة، و إنَّ كلّ شيء عنده سهل يسير.

إنّهم يتدرعون بلطف الله وحمأيته و عونه، و ينهضون لمقارعة الخطوب و الصعاب مستفيدين من كل قواهم، يدفعهم حبّ الله و الأمل فيه إلى الاستمرار في بذل المساعى، فيتغلبون على الصّعاب و المشاكل.

أجل، فالإيمان بالله سند عظيم للانسان.

الإيمان بالله مدعاة للثّبات و الشّجاعة.

الإيمان بالله يحيى في القلوب نور الأمل دائم ، و لهذا لا يقدم المؤمن على الانتحار، لأنّ الاقدام على قتل النفس إنّما هو دليل على اليأس و القنوط النّابعين من الاحساس بالهزيمة، المؤمن لأييأس و لأينهزم.

ثالثاً: معرفة الله و الاحساس بالمسؤولية:

ثمّة أطباء إذا راجعهم مرضي فقراء فإنّهم فضلاً عن عدم مطالبتهم أياهم بأُجرة العلاج والطبيب، يعطونهم ثمن الدّواء أيضاً، بل إذا أحسوا بأنَّ مريضهم في حالة خطرة قضوا الليل ساهرين إلى جنبه في بيته المتواضع. هؤلاء أُناس يخشون الله و يؤمنون به.

غير أن هناک أطباء آخرين لا يتقدمون خطوة واحدة لمساعدة مريض قبل أنْ يتقاضوا أجرهم، و ذلک لضعف أيمانهم.

إنَّ الإنسان المؤمن مهما كانت حرفته فإنَّه يشعر بالمسؤولية، و يعرف واجبه، ويعمل الخير و يكون متسامحاً، إنَّه يشعر دائماً بوجود شرطى في أعماقه يراقب أعماله.

أمّا الإنسان غير المؤمن فانه شخص أنانى، عنيد، خطر، لأيتحمل أية مسؤولية، و لأيري غضاضة في ظلم الآخرين و الاعتداء على حقوقهم، و قلّما يقوم بأعمال صالحة..

رابعاً: معرفة الله و الاطمئنان:

يقول علماء النفس إن الأمراض النّفسية منتشرة في أيامنا هذه أكثر ممّا كانت في السّابق.

و يقولون إنَّ أحد عوامل هذه الأمراض هو القلق . القلق من حوادث المستقبل، القلق من الموت، القلق من الحرب، القلق من الفقر، و القلق من الاخفاق.

ويضيف هؤلاء: إنَّ ممّا يساعد على إزالة القلق من روح الإنسان هو الإيمان بالله، فكلما نفذت عوامل القلق إلى نفس المؤمن أبعدها الإيمان بالله عنه . ذلک الله الرّحيم، الرّزاق، العالم بأحوال عباده، الذي يعينهم كلّما اتجهوا إليه في طلب العون، ويزيح عنهم دواعى القلق و الخوف.

ولهذا نجد المؤمن يعمل في الحق مطمئن النفس، لامكان للقلق في نفسه. و بما إنَّ المؤمن يعمل في سبيل الله، فإذا واجه ضرراً يتوجّه إلى الله يطلب منه دفع الضّرر، و هو لاتفارق الابتسامة شفتيه حتى في ساحة الوغي.

قال الله في كتابه الكريم: (**الذينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا أيمانَهُم بِظُلْم أُولئِکَ لَهُمُ الأَمْنُ**)

التقويم:

١. أتعرف حكأية من تاريخ الماضين تبيّن مظاهر الإيمان و آثاره التى ذكرناها؟

.....

٢. أتعلم لماذا نجد أشخاصاً يزعمون أنّهم يؤمنون بالله، و مع ذلک نراهم بعيدين عن الأخلاق الحسنة، ولانري فيهم أياً من الآثار الاربعة المذكورة؟

.....

مشروع تعليم الصلاة

الدرس الثالث

طريقان لمعرفة الله

طريقان لمعرفة الله

لقد كتبت كتب كثيرة منذ أقدم الأزمنة حتى اليوم، وجرت بحوث و مساجلات عديدة بين العلماء و المفكرين حول معرفة الله.

كلّ فريق من هؤلاء اختار للوصول إلى هذه الحقيقة طريقاً خاصاً، غير إنَّ أفضل الطرق و أسرعها في أيصالنا إلى مبدأ عالم الوجود طريقان اثنان:

أ . طريق من الدّاخل (أقرب الطرق)

ب . طريق من الخارج (أوضح الطرق)

دعونا نفكّر في المواضيع التّالية:

١. يقول العلماء: إنَّ أي شخص، مهما كان عنصره و طبقته، إذا ترک و شأنه دون تعليم أو إرشاد، و دون أنْ يسمع آراء المؤمنين و الملحدين، فإنْ يتّجه بذاته نحوه قوة قادرة قاهرة ترتفع فوق المادة و تحكم الكون بأسره. إنَّ هذا الإنسان يحس أن في أعماق قلبه وزوايا نفسه نداءً لطيفاً مفعماً بالمحبّة و الرّحمة، و في الوقت نفسه مكين و ثابت، يدعوه إلى المبدأ العظيم و القادر العليم الذي ندعوه: الله.

ذلک هو نداء الفطرة الطاهرة!

٢. وقد ينجرف هذا الشخص مع التيار المادي و حركة الحياة اليومية الزّاخرة بالبهرجة و الزّينة، فينشغل بها موقتاً عن سماع ذلک النداء. و لكنه عندما يوجه الشّدائد و المشكلات و المحن، و عندما تهاجمه الحوادث الطبيعية المرعبة، كالسيول و الزّلازل و الفيضانات و لحظات القلق في طائرة تتلاعب بها العواصف. نعم، عندما تقصر يده عن الوصول إلى عون مادي، و لأيجد ملجأ يلوذ به، يقوي هذا النداء في داخله، و يحس أن في كيانه قوّة تجتذبه نحوها، قوّة هي فوق كلّ القوي، و قدرة غامضة يسهل عليها حلّ جميع المشكلات بيسر.

قليل جداً من النّاس من لا يتّجه إلى خالقه عند مواجهة الأزمات و الشّدائد، و لأيتذكر الله دون اختيار. هذا الأمر هو الذي يدلّنا على مدى قربنا منه، و مدى قربه منّا، بل إنَّه في أرواحنا و ضمائرنا.

إنَّ نداء الفطرة موجود دائماً في وجدان الإنسان، و لكنه يقوى في هذه اللحظات.

٣. يكشف لنا التّاريخ إنَّ رجالاً من ذوى السّلطة و المقدرة كانوا في الاوقات العادية يأنفون حتى من ذكر اسم الله، ولكنّهم إذا ما شعروا بأنَّ قواعد سلطتهم أخذت تهوى، و إنَّ قصور و جودهم بدأت تنهار، راحوا يمدون يد التوسل إلى هذا المبدأ العظيم، لأنّ نداء الفطرة عاد يرن في أسماعهم بجلاء من جديد.

يقول التاريخ: عندما أوشک فرعون على الغرق في الأمواج المتلاطمة، و رأي إنَّ هذا الماء الذي كان سبب إحياء بلاده و أساس قوته المادية، قد أصدر عليه حكماً بالاعدام، و أنّه عاجز حتى عن دفع أمواج هذا الماء، و إنَّ يده قاصرة عن نفعه في شيء، أخذ يصرخ عالياً: لا إله ولا معبود سوي إله موسي العظيم. لقد صدرت هذه الصرخة في الحقيقة، من فطرته الباطنية، و لأيقتصر هذا على فرعون، فكلّ من يمر بظروف مماثلة يسمع هذا النداء نفسه؟

٤. إذا رجعت إلى أعماق نفسک وجدت إنَّ هناک نوراً يتلألأ في باطنک و يدعوک إلى الله. و لعلک قد صادفت في حياتک بعض الأزمات الشّديدة و الطّرق المسدودة بحيث إنك يئست من العثور على الحل و العلاج. لاشک إنك في مثل تلک الحالات قد خطرت لک حقيقة وجود قوة قادرة في عالم الوجود تستطيع أنْ تحل مشكلتک بكل سهولة.

في تلک اللحظات تشعر إنك قد احتواک أمل يمازجه في داخلک حبّ ذلک المبدأ العظيم، و إنَّ ذلک الأمل قد أزاح عن قلبک كلّ سحب اليأس القاتمة.

نعم، هذا هو أقصر الطرق التى تبدأ من داخل المرء للوصول إلى الله، باريء عالم الوجود.

سؤال واحد:

قد يخطر لاحدكم أنْ يسأل نفسه هذا السّؤال: ألا يحتمل أنْ يكون لما لثقافة المحيط و تلقينات والدى أثر في أنْ أتوجه هذا الاتجاه في الظروف العصيبة، فأرفع يدى إلى الله أطلب عونه؟

إنَّ لک الحقّ في أنْ يخطر في بالک هذا السّؤال، ولدينا الجواب المقنع الذي سنورده في الدّرس التّالى.

يقول الله في كتابه الكريم: (**فإذا رَكِبُوا في الفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إلى البَرِّ إذا هُمْ يُشْرِكُونَ**)

التقويم :

١. حاول أنْ تحفظ هذه الأية المذكورة في أعلاه برقمها و سورتها و تفسيرها لكي تتعرف على لغة القرآن تدريجياً.

.....

٢. لو واجهت حادثا معقداً صعباً ولم تجد حولک من تستعين به سوى الأمل في لطف الله تعالى؟ اشرح ذلک في مقالة أو في خطاب قصير.

.....

.....

٣. لماذا نعتبر هذا الطريق أقصر الطرق؟

.....

السؤال:

تقدّم في الدّرس السّابق كيف إنَّنا نسمع نداء التوحيد و عبادة الله دائماً من أعماقنا، و إنَّ هذا النداء يقوي و يشتد عند مواجهة المشكلات و الصعاب، فنتذكر الله دون اختيار و نستعين بلطفه اللامحدود و محبّته الشاملة اللانهائيين.

هنا قد يسأل سائل: إنَّ هذا الاحساس الدّاخلي الذي نصفه بأنه فطري، ألأيحتمل أنْ يكون من إفرازات المحيط الاجتماعي وتلقينات الأبوين والمعلمين في البيت والمدرسة حتى أضحى عادة مألوفة؟

الجواب:

جواب هذا السّؤال يتبين بوضوح بالانتباه إلى مقدمة قصيرة. إنَّ العادات و الرّسوم أُمور طارئة متغيرة و غير ثابتة. أي إنَّنا لأيمكن أنْ نعثر على عادة من العادات ظلت سارية بين البشر على إمتداد التاريخ. إنَّ العادة السائدة اليوم قد تتغير غداً، كما أن عادات قوم و رسومهم قد لاتكون كذلك بين أقوام آخرين.

و بناء على ذلك، إذا رأينا أمراً موجوداً عند كل الأقوام و الملل و في كل عصر وزمان، بدون استثناء، أدركنا أنّه لابدّ أنْ تكون له جذور فطرية و إنَّه داخل ضمن تكوين الإنسان و نسيجه.

من ذلك تعلق الأُمّ بوليدها، فلا يمكن أنْ يكون هذا الدّافع نتيجة الأيحاء والتلقين ولا عادة من العادات، لأنّنا لا يمكن أنْ نعثر بين قوم من الأقوام أو شعب من الشعوب في أي عصر وزمان على أُمّ تجفو وليدها وترفضه.

بديهي أنّ هناك استثناءات شاذة نجد فيها أُمّاً تقضى على وليدها بسبب بعض الأمراض النّفسانية، أو نرى أباً من العصر الجاهلى يئد إبنته متأثراً بمعتقدات خرافية خاطئة. ولكن هذه حالات نادرة سريعة الزّوال، انقرضت من بين الناس و عادت الحالة إلى وضعها الطبيعي من حبّ الابوين لأطفالهما.

بعد هذه المقدّمة نلقى نظرة على قضية عبادة الله بين أناس هذا العصر وأُناس الماضي:

(بالنظر لكون هذا الدّرس على شيء من التعقيد فيرجي ملاحظة ذلك)

١. يؤكد علماء علم الاجتماع و المؤرخون المشهورون إنَّ البشرية لم يمرّ بها زمان ليس لها ضرب من الدين أو الإيمان بشيء، فقد كان الدّين موجوداً في كل عصر وزمان. وهذا دليل بيّن على إنَّ عبادة الله تنبع من فطرة الإنسان و ضميره، ولا دخل للتلقين و الرسوم و العادات فيها، إذ لو كان لها أي أثر في أيجاد الدين لما كان عامّاً ولا خالداً.

هنالک قرائن تدل على إنَّ انسان ماقبل التاريخ كان يدين بنوع من الدّين (**عصور ماقبل التاريخ تطلق على الأزمنة التى مرّت على الإنسان قبل اختراع الكتابة، يوم لم يستطع أنْ يترک وراءه كتابات تدلّ عليه**)

بديهي إنَّ الإنسان القديم البدائى لم يكن قادراً على تصور الله وجوداً فوق الطبيعة، لذلک كان يبحث عنه بين الكائنات الطبيعية، وراح يصطنع لنفسه آلهة أصناماً من بين الكائنات الطبيعية، ولكن الإنسان بتقدمه الفكري استطاع بالتدريج أنْ يعثر على الحق، و أنْ يشيح بوجهه عن الأصنام و هي أشياء مادية، ليتوجه إلى ماوراء هذا العالم المادي و يتعرف على قدرة الله العظيمة.

٢. يصرح بعض علماء النفس بأنَّ لروح الإنسان أبعاداً أربعة أو دوافع أربعة:

أ. **دافع المعرفة:** وهو الذي يحث الإنسان على طلب العلم و يثير في النفس التعطش إلى التعلم، سواء كان ذلک ذا نفع مادي له، أم لم يكن.

ب. **دافع الصّلاح:** و هو مصدر الأخلاق الإنسانية الصالحة في البشر.

ت. **دافع الجمال:** و هو منشأ ظهور الشعر و الأدب والفن بمعانيها الحقيقية.

ث. **الدافع الدّينى:** و هو الذي يدعو الإنسان إلى معرفة الله وإطاعة أوامره. و على هذا فإنَّ الحس الديني ذو جذور أصلية في الإنسان، أي أنه لم يفارقه لحظة ولن يفارقه أبداً.

٣. سوف نلاحض في البحوث القادمة ان معظم الماديين و الملحدين يعترفون بشكل ما بوجود الله، على الرغم من أنّهم يمتنعون عن ذكر اسمه الصريح، و إنّما يطلقون عليه اسم الطبيعة أو أسماء أُخرى ، ولكنّهم يعزون إلى الطبيعة صفات أشبه بصفات الله تعالى.

مثال: إذا كانت الطبيعة قد وهبت الإنسان كليتين فذلک لأنها تعلم احتمال اصابة التلف أحداهما، فتقوم الأُخرى بأداء وظيفتها الحياتية، و ما إلى ذلک من الأقوال. فهل ينسجم هذا القول مع طبيعة عمياء، أم ينسجم مع إله يتصف بعلم لانهاية له، و إن أطلقوا عليه اسم الطبيعة؟ نستنتج ممّا مرّ بنا في البحث الأُمور التّالية:

حبّ الله كان فينا دائماً و سيكون فينا دائماً أيضاً.

الإيمان بالله شعلة خالدة تدفء قلب الإنسان وروحه.

لكي نعرف الله لسنا مضطرين للسير مسافات طويلة، بل علينا أنْ ننظر في أعماقنا لنجد الإيمان به هناك.
يقول القرآن الكريم: (**و نَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيْد** .)

التقويم:

١. هات أمثلة على العادات، وأمثلة على الفطرة.

.....

٢. لماذا كان الجهلاء يعبدون الاصنام؟

.....

٣. لماذا يطلق الماديون اسم **(الطبيعة)** على الله؟

.....

قلنا إنَّ الذين ينكرون الله بألسنتهم، إنَّما هم يؤمنون بالله في أعماقهم. لاشک إنَّ إنجازات الإنسان وانتصاراته تثير في نفسه الغرور، وخاصة إذا كان هذا الإنسان ضيق الافق. و هذا الغرور يؤدى به إلى النسيان، بحيث ينسى أحياناً حتى نظرياته. ولكن عندما تتوالى عليه ضربات الحوادث في الحياة، وتعصف به رياح المشكلات من كل جانب. تنكشف عن عينيه غشاوة الغرور، و تتجلّي فيه فطرة التوحيد.

إنَّ في التاريخ نماذج كثيرة لمثل هذا الإنسان. وفيما يلى نموذج لواحد من هؤلاء:

كان هناک وزير قدير واسع السّلطة، أمسک بيديه كل أزمة القدرة، ولم يكن هناک من يستطيع معارضته.دخل هذا الوزير يوماً إلى مجلس ضم جمعاً من رجال الدين العلماء، فالتفت إليهم وقال بشيء كثير من الغرور: إلى متى تظلون . تقولون إنَّ للعالم ربّاً؟ إنَّ عندي ألف دليل يدحض هذا القول.

العلماء الحاضرون كانوا يعلمون إنَّ هذا الوزير ليس من أهل المنطق والبرهان، وأنه مغتر بقدرته بحيث إنَّ أية كلمة حق لا تؤثر فيه، ولذا التزموا الصّمت أمامه، ذلک الصمت المليء بالمعانى والازدراء.

بعد ذلک مضتْ الأيام حتى جاء يوم اتهمت فيه الحكومة هذا الوزير، و ألقت القبض عليه وأودعته السجن.عندئذ خطر لأحد العلماء الذين حضروا ذلک المجلس إنَّ الوقت قد حان لكي يستيقظ هذا الوزير بعد أنْ ترجل عن صهوة غروره، و أزيحت عن عينيه حجب الأنانية، وتنبهت فيه مشاعر تقبل الحق، فقد تنفعه النصيحة. فطلب من المسؤولين السماح له بمقابلة الوزير: فأذنوا له، ولمّا اقترب من زنزانته وجد إنَّه وحيد فيها، وهو يذرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً مفكراً ويهمهم ببضعة أبيات من الشعر، مفادها: إنَّنا نشبه صورة الأسد على الرأية وكأنه يهجم، ولكنه في الحقيقة لا يفعل شيئاً، إنّما الريح هي التي تعطيه القدرة على الحركة، فنحن مهما عظمت قدرتنا فإننا لانملک شيئاً في ذواتنا.

إنَّ الله الذي منحنا القدرة قادر على أنْ يسلبها منّا وقت ما يشاء.

لاحظ العالم إنَّ الرجل فضلاً عن كونه لا ينكر وجود الله، فإنه قد أصبح يعرفه حق المعرفة. فتقدم إليه، وبعد تفقد أحواله، سأله قائلاً:

أتذْكر يوم قلت إنَّ عندک ألف دليل على عدم وجود الله؟ لقد جئت لأدحض أدلتک الألف بدليل واحد: إنَّ الله هو ذلک الذي سلبک في لحظة واحدة كل تلک القدرة التى كانت لديک. فأطرق الرّجل برأسه يخج ولم يقل شيئاً، لأنه كان معترفاً بخطئه بعد أنْ رأى نور الله في داخله.

يخاطب القرآن المجيد فرعون قائلاً: (**حتى إذا أدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ إنَّهُ لا إلهَ إلاّ الذي آمَنَتْ بِهِ بَنُوا اِسرائِيل**).

التقويم:

١. أُكتب نتيجة هذه القصّة في بضعة أسطر.

.....

٢. لماذا سُمّى بنوا اسرائيل ببنى اسرائيل؟

.....

٣. من هو فرعون؟ أين كان يعيش؟ وماذا كان يدّعى؟

.....

طريقة من الخارج :

بنظرة عابرة إلى هذا العالم الذي نعيش فيه، ندرک إنَّ عالم الوجود هذا ليس فيه اضطراب ولا ارتباک، بل إنَّ لجميع مظاهر الحياة خطاً معيناً تسير عليه، فهي أشبه بجيش ضخم مقسم إلى وحدات منظمة وتتحرک جميعاً نحو هدف معين.

النقاط التالية تزيل کل غموض عن هذا الموضوع:

١ . لظهور کل کائن ولبقائه حياً في هذا العالم لابدّ من تضافر عدد من الظروف والقوانين الخاصة لبلوغ ذلک الهدف.

فمثلاً، لکي تظهر شجرة إلى عالم الوجود، لابدّ من توفر الأرض، والماء و الهواء المناسب، والحرارة اللازمة، لکي نزرع البذرة، فتتغذي، و تتنفس، و تخضر وتنمو. فإذا لم تتوفر هذه الأُمور استحال ظهور النبتة ونموها إلى شجرة. إنَّ تهيئة هذه الظّروف يوالشّروط تتطلب عقلاً ومعرفة.

٢ . إنَّ لکلّ کائن خصائص يختص بها دون غيره. فللماء والنار خصائص لاتنفصل عنها وتتبع قوانين ثابتة.

٣ . جميع أعضاء الکائن الحي تتعاون فيما بينها، فأعضاء الجسم تعمل . بوعي أو بغير وعي . بانسجام تام بعضها مع بعض. فإذا ما واجه الجسم خطراً تأهبت الأعضاء للدفاع. إنَّ هذا الترابط والانسجام في العمل دليل آخر على وجود النظام في عالم الوجود.

٤ . إنَّ نظرة واحدة إلى العالم تکشف لنا إنَّ الترابط والانسجام والتعاون في العمل ليست مقتصرة على أعضاء الجسم الواحد، بل إنَّ مختلف کائنات العالم تتعاون فيما بينها، فلبقاء الکائنات تطلع الشمس وتنزل المطر وتهب الرّياح وتتضافر معها الأرض ومنابعها لهذا الهدف. وهذا دليل وجود نظام معين يشمل عالم الوجود کلّه.

رابطة النظام و العقل:

كلُّ امريء لابدّ أنْ يعترف في نفسه بأنَّ وجود النظام دليلٌ على أن وراءه عقل مفكراً وتخطيطاً وهدفاً. فحيثما شاهد الإنسان نظاماً ثابتاً يخضع لقوانين معينة أدرک أن وراءه مصدراً للعلم والقدرة، ولا يحتاج في هذا الادراک الوجدانى إلى الاستدلال حاجة كبيرة.

إنَّه يعرف إنَّ انساناً أُمِّياً أعمي ليس قادراً على إنَّ يضرب على الآلة الكاتبة مقالة اجتماعية جيدة أو نقداً أدبياً، مثلاً، أو إنَّ طفلاً في الثانية من عمره لا يمكنه بإمرار قلمه على الورق عشوائياً أن يرسم لوحة جميلة قيمة. إنَّنا إذا طالعنا انشاء جيداً أو مقالة رائعة أدركنا فوراً إنَّ كاتبها انسان مثقف متميز بالذكاء و العقل.

كذلک إذا شاهدنا في متحف لوحة جميلة جذابة لانشک لحظة في إنَّ الذي رسمها كان فناناً ماهراً، على الرّغم من إنَّنا لم نر ذلک الفنان بشخصه.

بناء على ذلک حيثما رأينا جهازاً منظماً علمنا إنَّ معه عقلاً وذكاءً. وكلّما كان ذلک الجهاز أكبر وأدق وأروع كان العقل والعلم اللذين أوجداه أكبر وأعظم كذلک.

و لإثبات إنَّ كلّ جهاز منظم يحتاج في ايجاده إلى عقل و علم، يستفيد علماء الطبيعة أحياناً من قانون (**حساب الاحتمالات**) المعروف في الرياضيات العالية، فيبرهنون مثلاً، على إنَّ الشخص الأُمّى إذا أراد أنْ يكتب مقالة أو شعراً بمجرد الضغط عشوئياً على مفاتيح الآلة الكاتبة بصورة عفوية وتصادفية، فإنَّ ذلک . بحساب الاحتمالات . يستغرق بلايين السنين، بحيث لا يكفي حتى عمر الكرة الأرضية لإنجاز ذلک، (**للمزيد من التوضيح يمكن الرّجوع إلى كتاب «خالق العالم» أو «في البحث عن الله».**

يقول قرآن الكريم: (**سَنُرِيهِمْ أياتِنَا في الآفاقِ وَفي أنْفُسِهِمْ حتى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ إنَّهُ الحَقُّ أوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّکَ إنَّهُ على كُلِّ شَىء شَهيدٌ**)

التقويم :

١. هات بعض الأمثلة **غير التي ذكرت في الدّرس** على أجهزة صناعية ندرك عند مشاهدتها إنَّ إيجادها يستلزم وجود صانع عليم.

.....

٢. ما الفرق بين (**آفاق**) و (**أنفس**) هات أمثلة على آيات الله في الآفاق وفي الأنفس.

.....

إنَّ مظاهر (النّظام) و (الغاية) و (التّخطيط) واضحة في جميع أرجاء عالم الوجود.

هنا نورد لكم بعض الأمثلة الكبيرة والصغيرة:

إنْ تقدم العلوم الطّبيعية والكشف عن أسرار عالم الطبيعية وعجائبه ودقائق خلق الإنسان والحيوان والنّبات، وبناء الخلية والذّرة العجيب، ونظام المنظومات الشّمسية والنّجوم المحير للعقول وأمثال ذلک قد فتحت أمامنا أبواب معرفة الله بحيث نستطيع القول بكل جرأة وثقة بأنَّ جميع كتب العلوم الطبيعية هي كتب في التوحيد و معرفة الله، و إنَّها تلقى علينا دروساً في عظمة الله الخالق، لأنها تزيح الستار عن نظام الخلق المدهش في هذا العالم، و تدلنا على مدي عظمة خالق هذا الكون وقدرته.

مركز قيادة دولة (الجسم):

تملأ جمجمتنا مادة رمادية اللّون يطلق عليها اسم (الدّماغ) و هذا الدماغ يعتبر أهم أجهزة أجسامنا وأدقها. لأن وظيفته هي قيادة جميع قوى الجسم و إدارة شؤونها.

ولكي ندرک أهمية هذا المركز العظيم، يحسن بنا أنْ ننقل إليكم هذا الخبر:

أوردت الصحف خبراً مفاده إنَّ طالباً شاباً من شيراز قد أُصيب في حادث سياقة في خوزستان بضربة على رأسة دون أنْ يصاب ظاهراً بمكروه آخر في جسمه وكانت أعضاؤه جميعاً سالمة، ولكن العجيب في أمره أنّه نسى كل ما يتعلق بماضى حياته. كان تفكيره سليماً، يدرک الاشياء. ولكنه إذا رأى أبويه لم يعرفهما. و إذا قيل له إنَّ هذه أُمّک. إنتابه العجب. أخذوه إلى بيته في شيراز، وأروه ماكان قد صنعه بيديه وعلقه على الجدران من الأعمال اليدوية، وقالوا له إنّه هو الذي صنع كل هذه الاشياء بنفسه. فكان يظهر العجب ويقول إنَّه يراها لأوّل مرّة في حياته.

تبين من ذلک إنَّ الضربة التى أصابت دماغه قد قطعت **الاسلاک** (التى تربط بين فكره وحافظته، وكإنَّ عطباً أصاب) **الفيوز** (الكهربائي في حافظته فغرقت في ظلام تام وأخفت ذكرياته كلها.

ولعل هذا) **الفيوز** (الذي أصابه العطب لأيزيد حجمه على رأس الأُبرة، ولكن لاحظ مدي تأثيره في حياته. من هنا يتضح لنا مقدار تعقيد جهاز الدّماغ وأهميته.

يتألف الدّماغ والجهاز العصبى من قسمين متميزين:

١. مجموعة الأعصاب الارادية التي تسيطر على جميع فعالياتنا الاختيارية، كالمشى، والنظر، والتكلم، وغيرها.

٢. مجموعة الأعصاب غير الارادية التى تسيطر على الحركات اللاإرادية، مثل حركة القلب وتحرك المعدة وغيرهما، فتدير أعمالها، بحيث إنَّ اصابة هذا الجانب من الدّماغ بعطب يكفي لأيقاف القلب أو أي جهاز لا إرادي آخر عن العمل.

« **المخ** »هو مركز الذّكاء والارادة، والاحساس، و الحافظة، وعلى ذلک فهو من أشد أجهزة الدّماغ حساسية، وإليه يعزي الكثير من ردود الفعل الانفعالية، كالغضب والخوف وغيرهما.

لو أُزيل مخ حيوان ما، دون الاضرار بأعصابه، فإنَّ الحيوان يظل حيّاً، ولكنّه يفقد كل قدرة على الفهم والادراک. من ذلک أنّهم رفعوا مخ أحد الطيور من دماغه، فبقى حياً، ولكنه لم يميز الحب الذي نثر امامه ولم يلتقط منه شيئاً بالرغم من جوعه واذا اطلقوه في الهواء كان يطير حتى يرتطم بحاجز فيقع.

القسم العجيب الآخر في المخ هو (الحافظة):

من أقسام الدّماغ العجيبة الأُخرى هو الحافظة. هل خطر لكم مدى غرابة قوّة الحافظة العجيبة؟ وهل فكرتم كيف سيكون سوء حالنا لو إنَّنا فقدنا حافظتنا ساعة واحدة؟

مركز الحافظة، الذي يشكل جزءاً صغيراً من الدّماغ، يحتفظ بجميع ذكرياتنا و دقائقها طوال حياة الإنسان. كلّ انسان نتعرف عليه تحتفظ حافظتنا له بجميع خصوصياته، شكله، لونه، ملابسه، اخلاقه، نفسيته وكل ما ندركه منه، فتعد له اضبارة خاصّة به. فما أنْ نراه مرّة أُخرى حتى تقوم حافظتنا باستخراج الاضبارة الخاصة به وتلقى عليها نظرة شاملة، و عندئذ يرشدنا فكرنا إلى الطريقة التى يجب أن نعامل بها هذا الشّخص وكيف يجب أنْ تكون ردود فعلنا معه؟ فإذا كان صديقاً احترمناه، واذا كان عدواً تحاشيناه.

وهذه الأُمور تجري بسرعة مذهلة بحيث إنك لاتكاد تحس بمرور أي فترة زمنية بين رؤيتک الشخص وظهور رد فعلک ازاءه.

إنَّ غرابة هذه الحالة تتضح أكثر إذا أردنا كتابة ما تحفظ به ذاكرتنا على الورق أو إنَّ تسجيله على أشرطة التسجيل، لاشک إنَّنا سنحتاج إلى مقدار كبير من الورق أو الاشرطة قد يملأ مخزناً كبيراً. والأعجب من ذلک هو إنَّنا لاستخراج ورقة أو شريط من بين ذلک الحشد نحتاج إلى عدد كبير من الموظفين الموكّلين بحفظها. غير إنَّ ذاكرتنا تقوم بكل ذلک بسهولة وبكل سرعة.

لقد ألفت كتب كثيرة في عجائب الدّماغ، وذكر قسم منها في الكتب المدرسية والجامعية. فهل يمكن أنْ نصدق بأنَّ هذا الجهاز المعقد الدقيق والرقيق والغامض قد صنعته طبيعة فاقدة للعقل؟ بل أشد من ذلك حماقة هو إنَّ تعتبر هذه الطّبيعة العديمة العقل هي خالقة العقل!

يقول القرآن الكريم: (**وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**)

التقويم :

١. هل تعرف أمثلة أُخرى على عجائب عمل دماغ الإنسان؟

.....

٢. ما التّدابير التى أوجدها الله تعإلى للمحافظة على دماغ الإنسان أزاء الحوادث المختلفة؟

.....

نريد في هذا الدّرس أنْ نخرج من مملكة جسم الإنسان الواسعة، التى لم نكتشف زقاقاً واحداً من مدنها السّبع بعد، لنلقي نظرة على هذه الزّاوية أو تلك لالتقاط بعض النماذج لنظام الكائنات العجيب.

نرمي ببصرنا في ليلة ظلماء إلى السماء فيتراءى لنا طائر غريب بين طيات سجف الظلام كشبح غامض يطير جريئاً في كل اتجاه بحثا عن طعام يتغذى به.

هذا الطائر هو «الخفاش» وكل ما فيه يدعو للدهشة والعجب. وأعجب مافيه هو طيرانه في الليل البهيم. إنَّ حركة الخفاش السريعة في ظلام الليل بغير أنْ يرتطم بأي حاجز من أعجب الأُمور التى تظهر فيه أسرار جديدة كلّما تعمقنا في كشف أسراره القديمة.

ولا شک هذا إنَّ الطّائر الذي يمزق في الظلام بسرعة ودقّة قد لا تدانيهما سرعة الحمامة في رابعة النهار، لولا وجود وسيلة يدرک بها وجود الموانع في مسير طيرانه لصعب عليه الطيران بهذه السهولة.

لو أطلق الخفاش في نفق مظلم كثير الالتواءات والمنعطفات، وملوث بالسخام، لاستطاع انْ يتفادى جميع المنعطفات بغير أنْ يصطدم بأي منها أو أنْ تعلق به ذرة من السخام.

إن هذه الخاصية العجيبة في الخفاش نشأت من خاصية أشبه بخاصية الرّادار.

فلابدّ هنا من معرفة شيء عن جهاز الرّادار لكي ندرک وجوده في هذا الحيوان الصغير.

في بحث «الصوت» من علم الفيزياء نقرأ عن أمواج ما وراء الصوت، وهي أمواج أطوالها وترددتها من الكثرة بحيث أنَّ أُذن الإنسان ليست قادرة على سماعها، ولهذا السبب أطلق عليها اسم الأمواج ما وراء الصوت. فعند انبعاث هذه الامواج من مصدر مرسل قوي، تنتشر إلى جميع الجهات، ولكنها ما أنْ تصطدم في الجو بمانع أو حاجز، (مثل طائرات العدو أو أي مانع آخر) تعود، مثل الكرة التى تصطدم بجدار فترتد، أو مثل الصوت الذي نسمع صداه إذا أطلقناه بين الجبال أمام جدار مرتفع وعلى مسافة معينة. إنَّ الفترة التى تمضيها هذه الامواج في الارتداد تفيد في حساب بعد المانع أو الحاجز بصورة دقيقة.

كثير من الطائرات والبواخر تهتدى إلى طريقها بوساطة الرّادار،فتتجه إلى حيث تشاء، كما إنَّها تستفيد من أجهزة الرّادار لمعرفة مكان طائرات الأعداء وبواخرهم.

يقول العلماء إنَّ في جسم هذا الطائر الصّغير جهاز أشبه بجهاز الرّادار. والدّليل على ذلک هو إنَّنا لو أطلقناه في غرفة مظلمة ووضعنا فيها المايكروفون الخاص بتحويل الأمواج فوق الصوتية إلى أمواج صوتية قابلة للسمع، لامتلأت الغرفة بأصوات مؤذية للسمع، ويمكن حساب عدد الأمواج التى تصدر من الخفاش و هي تبلغ ٣٠ إلى ٦٠ مرة في الثانية.

ولكن ترى أي جهاز في الخفاش يصدر هذه الأمواج؟ أي ما هما جهاز الإرسال والاستقبال في الخفاش؟

يقول العلماء في الإجابة عن هذا السّؤال: إنَّ الخفاش يصدر هذه الأمواج عن طريق أوتار حنجرته القوية ويخرجها من منخريه، وأُذناه الكبيرتان هما جهاز الاستقبال عند ارتداد الامواج اليه.

فالخفاش إذن مدين في جولانه الليلة لأُذنيه. يقول عالم سوفياتى اسمه (ژورين): إنَّ التجربة قد أثبتت إنَّه إذا قطعت أُذنا الخفاش لم يعد قادراً على تحاشي الارتطام بالموانع في الليل، بينما لا يتأثر طيرانه الليلي مطلقا إذا أزيلت عيناه، أي إنَّ الخفاش يرى باذنيه، لابعينيه. أليس هذا عجيباً؟!

فلنتصور الآن: من الذي أوجد هذين الجهازين العجيبين المحيرين في جسم هذا الحيوان الصغير الحقير؟ وكيف علمه استخدامها والاستفادة منهما بحيث يستطيع أنْ يدرأ عن نفسه الكثير من الأخطار التى تصادفه في طيرانه الليلي؟ أجل ترى من هو؟أتستطيع الطبيعة العمياء التي لاعقل لها أنْ تقوم بمثل هذا العمل، فتخلق في هذا الحيوان، بكل بساطة، هذين الجهازين اللذين يبذل علماء العالم مبالغ طائلة لصنعهما؟

يقول الامام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة في كلام له مسهب عن الخفاش وبديع خلقه:

«... **لا تَمْتَنِعُ مِنَ المُضِى فيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ ... فَسُبحانَ البارِيء لِكُلِّ شَىء على غَيْرِ مِثَال** ...».

التقويم:

١ . أتعرف معلومات أكثر عن الخفاش؟

.....

٢ . أتعلم إنَّ اجنحة الخفاش وطريقة ولادة الانثي صغارها، بل وحتى طريقة نومه تختلف عن الحيوانات الأُخرى، وإنَّه طائر مختلف عن غيره تماماً؟

.....

من المستحسن أن تزوروا في أحد أيام الربيع الدّافئة البساتين و المزارع الخضر اليانعة. هنالک ستلاحظون مجموعات من الحشرات الصغيرة، كالنحل، والذباب ، والفراشات، والبعوض، وكلها تتطاير في اتجاهات مختلفة، تنتقل من زهرة إلى أخرى ومن غصن إلى آخر.

إنَّها منهمكة في حركاتها هذه حتى ليخيل إليک إنَّ قوّة غامضة تقف على رأسها مثل صاحب العمل مع عماله لاتكف عن إصدار الأوامر إليها. إنَّ أرجل بعضها وأجنحتها تتلوث بالدقيق الاصفر على الزهور فتبدو كأنَّها من العمال الذين يرتدون رداء العمل الاصفر و هم منشغلون بأداء أعمالهم.

في الواقع أنّها تقوم بأعمال مهمة فعلاً، إنَّ أعمالها من الأهمية بحيث إنَّ البروفسور (ليون برتن) يقول: (قلّما يعرف الناس إنَّه لولا الحشرات لبقيت سلالنا خالية من الفواكه .)

و نحن نضيف إلى قوله ذلک قولنا:(ولفقدت بساتيننا ومزارعنا لعدّة لسنوات ماكان لها من خضرة وطراوة) فالحشرات، إذن، هي التى تنمي الفواكه وتهيء بذور الزهور.

لاشک إنكم سوف تسألون: كيف؟ والجواب. إنَّ أهم عمل حياتى في النبات، وهو عمل اللقاح ، يتحقق بمعونة الحشرات. لعلكم تعلمون إنَّ الأزهار، كالكثير من الحيوانات، تنقسم إلى الذكر والأنثى، ومالم يتم اتصال وتلقيح بينهما فلن تكون هناک بذرة ولاثمرة. ولكن هل خطر لكم أنْ تفكروا في أقسام النبات المختلفة، التى لاتحس ولاتتحرک، كيف ينجذب بعضها نحو بعض و كيف إنَّ المسحوق الذكري، الذي يمثل حيامن الرجل يتحد مع البيضة الأنثوية في النبات كمقدمة للتزواج؟

هذه العملية في كثير من الحالات منوطة بالحشرات، وفي حالات أخرى منوطة بالرّياح، ولكنها ليست بهذه البساطة التى تبدو لنا، فهذا الزّواج المبارک الكثير الخيرات، والذي يتمّ بوساطة الحشرات، له تاريخ و مراسيم و تطورات طويلة مثيرة للعجب، سوف نتناول هنا جانباً منها:

عد كثير من البحوث والدّراسات، توصل علماء الطبيعة إلى إنَّ النباتات والأزهار ظهرت في النصف الثاني من العصر الجيولوجي الثاني. والعجيب إنَّ تلك المرحلة شهدت ظهور الحشرات أيضاً،ومن ذلك اليوم وعلى امتداد تاريخ الخليقة الطويل استمرت النبتة والحشرة صديقتين حميمتين و فيتين، كمل أحدهما وجود الأُخرى.

فلكي تستأثر الزهرة بحب صديقتها الحشرة و تجتذبها نحوها و تحلّى فمه كما يقولون، فإنَّها تختزن رحيقًا عذباً، طيب الطعم في داخلها. فعندما تقوم الحشرات بالتنقل من زهرة إلى أُخرى تمهيدا لعملية اللّقاح، تضع أرجلها في الزّهرة وتدخلها، فتُستقبل هناك برحيق حلو لذيذ الطعم بحيث إنَّ الحشرة نجذب إليه دون اختيار.

يرى بعض علماء النبات إنَّ للون الزهرة ورائحتها دوراً مهماً في اجتذاب الحشرات إليها، فقد أثبتت التجارب التى أجريت على النحل قدرة هذه الحشرة على تمييز الألوان والرّوائح.

وفي الحقيقة إنَّ الأزهار هي التى تتزين و تتجمل من أجل الحشرات لكي تجلب انتباه الفراشات والنحل التى يعجبها اللون والرّائحة والطعم، فتستقبلها في أحضانها و تهييء الامور لعملية الزواج و تتناول طعام العرس أيضاً.

إنَّ حلاوة العرس هذه من أفضل الطعام للحشرات، وبخاصة النحل، وبتراكمه يكثر العسل. فالحشرات عند حضورها حفلة العرس تأكل شيئا من طعام العرس، وكالضيف الصفيق، تأخذ بعضاً من ذلك الطعام معها أيضاً إلى بيتها تختزنه فيه.

إنَّ عهد الصداقة بين الزهرة و الحشرة، و القائم على تبادل المصالح المشتركة، كان وسيبقى كذلك.

عند ما يلاحظ الإنسان هذه العلاقة العجيبة بين حياة الحشرات و الأزهار، يتساءل دون اختيار: تري من الذي عقد عهد الحبّ والصداقة بين الإزهار و الحشرات؟

هذه الحلاوة الخاصة والرحيق اللذيذ، و هذه الالون الزاهية المختلفة الجذابة، وهذا العطر المهيج، من ذا الذي وهبها الأزهار؟ ومن ذا الذي هدى الحشرات إليها، وجعلها تتذوقها؟

من الذي أعطى لهذه الحشرات وللفراشات، وللنحل، وللذباب الذهبي، أرجلها اللطيفة الظريفة وجهزها بما يتيح لها أن تنقل لقاح الإزهار من مكان إلى مكان؟

لماذا يتّجه النحل في فترة معينة إلى نوع معين من الأزهار؟ لماذا بدأ تاريخ حياة الحشرات و الأزهار في وقت واحد في عالم الخلق؟

أهناک من يمكن أنْ يصدق . مهما يكن معانداً لجوجاً . إنَّ كل هذه الأمور قد جرت على غير خطة موضوعة من قبل؟ أيعقل أنْ يحدث كل هذا الذي يحير العقول بقوانين عشوائية تضعها طبيعة عمياء لاتدرک شيئاً؟ كلا، بالطبع!

يقول القرآن الكريم:

(وأوحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ أنِ إتّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلكي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا)

التقويم:

١. مافائدة الرحيق الحلو للأزهار و ألوانها و عطرها؟

.....

٢. ماذا تعرف عن عجائب حياة النحل؟

.....

بما أنَّنا نعيش في عالم مليء بعجائب الخلقة ونترعرع بين أسرار وغرائب الطبيعة، فإنّنا كثيراً ما نغفل عن ملاحظة هذه الكائنات العجيبة وأهميتها. من ذلک مثلا:

١. تعيش حوالينا كائنات وحشرات صغيرة جداً بحيث أن جسم بعضها قد لا يتجاوز المليمتر الواحد أو المليمترين، ومع ذلک فهي كالحيوانات الكبيرة لها أطراف وعيون وآذان وحتى أدمغة وذكاء وأعصاب وأجهزة للهضم.

إذا وضعنا دماغ نملة تحت المجهر وتفحصنا بدقة بناءه المحيّر، نجد أنّه ممّا يثير العجب حقّاً. فهذا الدّماغ الصّغير يضم أقساماً متجاورة، كل قسم منها يسيطر على جانب من جسم النملة، وإنَّ أدني تغيير في وضعيتها يصيب جانباً من جسم النملة بالشلل.

والعجيب في دماغ النملة، الذي هو فعلاً أصغر من رأس الدّبوس، يكمن فيه عالم من الذكاء والتمدن وجمال الذوق والفن، حتى أنَّ فريقاً من العلماء أمضوا جانباً كبيراً من أعمارهم في دراسة حياة هذا الحيوان، ودونوا في كتبهم الكثير من عجائب حياته.

ترى من ذا الذي أوجد كل هذا الذّكاء و المهارة في هذا الحيوان الصغير؟ أهي الطبيعة التي لاتملک من الذّكاء حتى بمقدار رأس الأبرة؟

٢. لننظر في عالم الذّرة: إنَّنا نعلم أن أصغر ما اكتشف حتى الآن في العالم هو الذرة وأجزاؤها. إنَّ الذّرة هذه من الصغر بحيث إنَّ أعظم المجهرات التى توصف بأنَّها تكبر القشة لتبدو جبلاً. تعجز عن رؤيتها.

إذا أردتم معرفة مقدار صغر الذّرة، يكفي أنْ تعلموا إنَّ قطرة واحدة من الماء تحتوي على عدد من الذّرات أكثر من جميع سكان الأرض قاطبة. وإذا أردنا حساب عدد البروتونات في سانتيمتر واحد من سلک دقيق، واستعنّا على ذلک بألف شخص يحسبون بحيث إنَّنا نستطيع أن نفصل بروتوناً واحداً في كل ثانية، لاستغرق حسابنا

بين ٣٠ سنة و ٣٠٠ سنة) **بحسب اختلاف ذرات كل مادة**(، على أنْ يستمر حساباً ليلاً و نهاراً دون انقطاع.

و الآن بعد أنْ عرفنا أن في سانتيمتر واحد من سلك دقيق هذا العدد من البروتونات، فكم تظن عدد الذّرات في السماء و الأرض والماء والهواء والمجرات والمنظومة الشمسية؟ ألأيتعب فكر الإنسان من مجرد تصور ذلك؟ هل يستطيع أحد معرفة عددها غير الذي خلقها؟

تعتبر دراسة الذّرة من أهم الفروع العلمية في العصر الحاضر ومن أشدها إثارة. إنَّ هذا المخلوق الصغير يلقى علينا درساً في التوحيد، إذ أن فيه جوانب أربعة تثير الانتباه:

١. **النّظام الدّقيق**: لقد اكتشف حتى الآن أكثر من ١٠٠ عنصر يتدرج فيها عدد الالكترونات من الواحد حتى أكثر من ١٠٠، و هذا نظام دقيق لأيمكن أنْ يكون وليد عوامل عديمة العقل.

٢. **تعادل القوي**: إنَّنا نعلم إنَّ قطبين كهربائيين مختلفين يتجاذبان. وعليه، فإنَّ الالكترونات التى تحمل شحنة سالبة لابدّ أنْ تنجذب نحو النّواة التى تحمل شحنة موجبة.

ومن جهة أخرى نعلم إنَّ دوران الالكترونات حول النّواة يوجد قوّة طاردة عن المركز، أي إنَّ الالكترونات تحاول، تحت هذه القوّة الطاردة عن المركز، أنْ تبتعد عن محيط النواة، فتتحطم الذّرة. وفي الوقت نفسه تريد القوّة الجاذبة أنْ تجذب الالكترونات فتفنى الذّرة.

هنا لابدّ من أنْ ندرك الحساب الدقيق الذي بموجبه جري تنظيم القواتين الجاذبة والطاردة في الذّرة لكيلا تفلت الالكترونات من مدارها، ولاتنجذب نحو النّواة، بل تبقي دائماً في حالة تعادل وتوازن في حركتها الدّائمة. فهل تستطيع الطبيعة العمياء أنْ توجد هذا التعادل والتوازن؟

٣. **كلّ في فلك يسبحون**: قلنا إنَّ لبعض الذّرات أكثر من الكترون واحد ولكنّها لا تدور كلّها في مدار واحد، بل تدور في مدارات متعددة. ومنذ ملأيين السّنين تدور هذه الالكترونات في مدارات معينة، وفواصل محددة، و بسرعة معلومة، بغير أنْ يكون هناك أي تضاد بينها.

فهل وضعها في مداراتها المعينة ودورانها المنظم المحير عمل بسيط؟

٤. **طاقة الذّرة العظيمة**: للتعرف على الطاقة الهائلة الكامنه في الذّرة يكفي نعرف ما يلي :

في سنة ١٩٤٥ تمت تجربة في صحراء المكسيك الجرداء من كل ماء وزرع، حيث فجرت قنبلة ذرية صغيرة جداً في برج فولاذي، فذاب البرج ثم تحول إلى بخار وظهر البرق مصحوباً بدوي مرعب، وعندما جاء العلماء لم يجدوا أثراً للبرج.

وفي تلك السنة نفسها ألقت الولايات المتحدة الأمريكية قنبلتين ذريتين صغيرتين على مدينتى (هيروشيما) و (ناكازاكي) اليابانيتين، فأبيد في الأولى سبعون ألف إنسان وجرح مثلهم،وقتل في الثانية نحو ثلاث وأربعين ألفا وجرح مثلهم، بحيث اضطرت اليابان إلى الاستسلام لأمريكا دون قيد أو شرط.

أفلا تكفي دراسة اسرار ذرة واحدة من الذرات لكي يتعرف الإنسان على خالقها؟ وعليه، إنَّ بالامكان القول بأنَّ لدينا بعدد ذرات الدّنيا أدلة على وجود الله.

يقول القرآن الكريم:

(وَلَو أنّما في الأرض مِنْ شَجَرِة أقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُر ما نَفِذَتْ كَلِماتُ اللهِ إنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

<u>التقويم:</u>

١. أتعرف شيئاً آخر عن أسرار حياة النملة؟

.....

٢.أتستطيع أنْ ترسم على السّبورة تشكيلية الذرة؟

.....